مضى العام والذكرى ...

على الوترِ الحنّان قد وُلِدَ الشعرُ ... رضيعَ لبانِ السحرِ ما نفث السِّحْرُ
لفائفُه في المهدِ ظلُّ خميلةٍ ... على غصنها طيرٌ ومن تحتها نهرُ
اذا ما بكى أشجى الزمانَ بُكاؤه ... وأذرت له الدمعَ الملائكةُ الطُّهْرُ
يُنسِّق وجهَ الصبح والطلُّ ذائبٌ ... ويصبغُ لونَ الحقل والزرعُ مُخضَرُّ
ويُلقي شعاعَ الشمس في ميعةِ الضحى ... على الكونِ حيث الكونُ مبتهجٌ نَضرُ
وتنفَحُ عنه في الأصيلِ نسائمٌ ... وفي الليل يزهو النجمُ أو يُشرق البدرُ
فامّا تسرْ يا صاحِ في هَدأةِ الدُّجى ... لدى حَلَكٍ فيه غمامٌ ولا قَطْرُ
وإمّا تجدْ حُسنَ الحياةِ مُشوَّهاً ... شتيماً وقد عاف ابتسامته الثغرُ
وإمّا تجدْ ظهرَ الزمانِ محدَّباً ... أناختْ دواهٍ فوق كلكله صُفْرُ
فذلك فاخشعْ مأتمُ الشعرِ والحجى ... وكيف تَناساهُ وفي قلبِكَ القبرُ ؟!

« • »

خميلةُ وادي النيلِ أزهرَ نبتُها ... فلما دهاها الصيفُ مات بها الزَّهرُ
سقاها غديرٌ ثم جفَّ فظلُّها ... حَرُورٌ من الرمضاءِ محراقةٌ سُعْرُ
فلا دوحَ يأوي العاشقون لظلِّه ... ولا طيرَ يشدو بالفِناءِ ولا قُمْرُ
تصوّحتْ الأزهار بعدَ تعطُّرٍ ... فجفّت وماتت بينما بَقِيَ العِطْرُ
مَلابٌ زكيٌّ في الانوفِ شميمُه ... كشعرِ أبيٍّ في النفوسِ له سِحْرُ

« • »

مضى العامُ والذكرى تلوفُ بأرؤسٍ ... كما طافَ جُنحَ الليلِ أو وقعَ النَّسرُ
مُباعِدُ ما بين الجناحينِ أبرَدٌ ... يطيرَ إليها من قوادمهِ الذُّعْرُ
إذا جالَ عينا في النجومِ تَفكُّراً ... تَطايرَ من أحداقها النَّظرُ الشَّزْرُ
اذا فكر المرءُ القديمَ وفاؤه ... يواجبهِ للصحبِ أعيا به الفِكْرُ
يظنُّ له عُذراً فيمضي يَبثُّه ... ولولا جحودُ الناس لاعتذر العُذْرُ

وأجَلَّ قومٌ ذكرَهُ لمواعدٍ فيومهمُ عامٌ وساعتُهم شهرُ
مضى حافظٌ من كان يحفظُ قومَه فهل حفظته فى أضالعها مِصرُ ؟
فتًى كان يأبى أن يخونَ صديقه فلما مضى خانته أصحابُه الكُثْرُ
إذا كان فى وجه الفتى دونَ ظهره وفاءُ أخيه فالوفاءُ هو الغَدْرُ
فمن يصطحب يحفظ ومن ينس يذكرْ ومن يُوف لا يُذمم ولكن له الاجرُ
حفاظك للأصحاب نذرٌ نذرتَهُ إلى الله فانظر كيف ينعقد النَّذْرُ
وللناسِ أخلاقٌ شكولٌ كثيرةٌ يدينُ بها عصرٌ ويمقتُها عصرُ !

« • »

رَعَى الله شعراً قد غُذيتُ لبانَه ولى سَنَواتٌ أهَّلَتْنى له عَشْرُ
فما كان سفري غير ديوانِ حافظٍ وأنعمْ به سفراً إذا أعوزَ السِّفْرُ
مَزاميرُ داودٍ وعيسى بن مريمٍ وخيرُ وصايا صاحبِ الطودِ والذِّكرُ
شواردُ كالعِقيان من كلِّ جوهرٍ وحبٌّ من الرُّمَّان ليس له قِشْرُ
وما النيلُ إلا ربوةُ الأرضِ أنبتتْ ثماراً وإلا منجمٌ تُرْبُهُ تبرُ
وحافظُ من قومٍ بِواديهِ خُلصٍ كبارٍ ولكنْ ما بأنفسهمْ كبرُ
نضا السيفَ من نِقْسٍ يسيلُ ومن دمٍ فما صدَّه طودٌ ولا عافة بحرُ
فلم يك بؤساً حظُّه بل زعامةً تصيخُ لها الافلاكُ أو يُهزَمُ الدهرُ
ففى كل وادٍ فَجْعَةٌ فى صحابهِ وفى كل نادٍ مأتمٌ قبله سَمْرُ
وفى كلِّ صَدْرٍ للوفىِّ قُلاَبَةٌ وفى كلِّ قلبٍ من رماحتها صَدْرُ !

« • »

جُنودَ القوافى والخطوبُ كثيرةٌ ألا يحتمى فيكم من العَطبِ الشِّعرُ ؟
لقد غالَ ريبُ الموتِ أرمى شيوخكم وللشعرِ لا للحائكين له العُمْرُ
نغيبُ كما غابَ امرؤ القيس قبلنا ونُبقى عُكاظاً والزمانُ له كرُّ
وللشعرِ فى ليلِ المُحاقِ سماؤه لكلِّ فتىً فيها كواكبُه الزُّهْرُ

فصوغوا القوافى للخلود وللصبا ... وللرأى والأخلاق ما طلع الفجرُ
ولا تركنوا للخلف فالخلفُ فاضحٌ ... لما كان يخفيه التسامُحُ والسترُ
اذا كان هذا الشعرُ قائدَ نهضةٍ ... فبالخُلق المحمود يحلو له الفخرُ

عامر محمد بحيرى

محمد حافظ ابراهيم

فى كفتى البؤس والمجانة

يتوهم البعض أننا اذا قلنا إن حافظاً كان أخا بؤس — لازمه صغيراً ، وصاحبه كبيراً — أنه كان مملقاً ، وأن فقره علة العلل فى ابتئاسه . وقد يكون الأول صحيحاً ولكن الى حدٍّ ، أما الثانى فهو موضع بحث ونظر ثم خلف وجدل ، فليس كل بؤس مسبباً عن الفقر ، وحافظ بائس ، فليس بحتم نشوء بؤسه عن فقره . وقد يكون هناك المنطق صحيحاً ، فنحن نرى بين ظهرانينا الكثير من المعدمين يروحون ويغدون ونضرة الطمأنينة تعلو وجوههم ، وطائر السعادة يرفرف فوقهم ، كما أننا نرى الكثيرين ممن جادهم المال بوفرته لا يكادون يستشعرون أن هناك سعادة ، بل لا يصدقون أن هناك سعادة فهى اسم لا مسمى له وإن هى الا وهم وخيال . . .

وقد نسمع أن كثيراً من رجالات الفكر وحملة الأقلام كانوا فقراء معدمين بائسين وأن الجهلة الأغبياء كانوا فى يسر ورخاء وطالما أنشدونا :

رِزقُ التيوسِ يجيئها بسهولةٍ ... وأولو الفصاحة رزقُهم مسجونُ .
إنْ كان حرمانى لأجل فصاحتى ... فامنُنْ علىّ من التيوسِ أكونُ !

والمنطق فى ظاهره يحيل هذا الذى يبدو غريباً فى مظهره ، فليس يسلم أن يعجز المفكرون — وهم المفكرون — عن أمر تناله الأغبياء المغاليك — وهم هم !

وربما تزول الغرابة اذا نحن فهمنا أن الفكر دائبُ الطموح لا يرضى لنفسه ما هو فيه وإن كان فى التفوق فهو متطلع الى العلوّ أبداً ناظر الى السماء دائماً ، يرى أنه